بين المـــــرأة والرجل

للآنسة الفاضلة « الزهرة »

الشرق والغرب شرع واحد فى المسائل التى تتناول الأحاسيس والعواطف ، بل الحب — بنوع خاص — فى مختلف أنواعه وحالاته ، والمرأة هى هى فى كل مكان وزمان . والتحليل الدقيق للقصص الأربع التى تفضلت حضرة الأديبة الكبيرة محررة « رسالة المرأة » باستطلاع آراء القارئات فيها ، يجعلنى أردّ تصرفات المرأة فى كلٍّ منها إلى تلك الأصول البدائية التى ركزتْ فى نفسها مركبات قوية متناقضة تكاد تكون من الغرائز النسوية لأنها اندست فى أغوارها حقباً طويلة دون أن تدريها ، فطبعتْ سمتها على حياتها وآرائها ، ووجهتها إلى نواح بتشعبة كانت مصدراً خفياً لأعمال تنفع وتضر على السواء . ولعلّ من أعظم هذه المركبات ما يسمى « مركب النقص » فإن المرأة منذ بدء عصور التاريخ البشرىّ قد كانت فى الغرب موضوع حب الرجال وإعزازهم ، وكان التغنى بمحاسنها والتشبيب بها موضوع قصيدهم وأناشيدهم ، على أنهم رغم بلوغهم أوج التعبد لها ، ما برحوا حتى العصور الوسطى بل والحديثة يوجسون خيفة منها ويعدونها بلاءً مقيما وشراً مستطيراً . وكانوا إذا تفوقت إحدى النساء فى ذكائها أو بسالتها يتهمونها بالسحر والشعوذة ، ويجعلونها غرضاً لسهام طغمة كبيرة من رجال الدين . أما فى عصور الوثنية والجاهلية فى الشرق فقد أجلسوها على عروش الربوبية ، وجعلوا من العذارى الجميلات كاهنات لمعابد أصنامهم ، ثم بقيت من العصور الوسطى وما بعدها كأنموذج لحسنٍ ضائع ، وكقنية ثمينة يدخرها الملوك والولاة فى قصورهم ، أو ملهاة جميلة يتسلون بها بعد عودتهم من غزواتهم ورحلات قنصهم ، ثم اتخذوا منها إكليل الغار الذى يتوّجون به كل بطل صنديد مكافأة له على شجاعته ، أو ثمناً لعبقريته ومواهبه ... ولقد أدّى هذا كله إلى إشعار المرأة بعجزها ونقصها ، ودفعها إلى تغذية رغبتها فى الظهور أمامهم لا بمظهر الندّ والنظير فقط ، بل محاولة التفوق عليهم وعدم الاستخذاء لهم ، والجدّ فى الظفر بإخضاعهم لنفوذها الآمر .

وعندى أن هذا هو « مركب النقص » الذى يعدّه كثيرون من كتّاب المرأة غريزة أساسية من غرائزها ، بل ميلاً قوياً من ميولها الفطرية التى تغريها بحب السيطرة فى إبجاع وإيلام للرجل ، ولكنى أرى أن هذه الغريزة المزعومة ليست أصيلة فى المرأة ، بل هى فى الحقيقة صورة ظاهرة من صور الحب التى مرجعها حب الذات ، والتى تختصر تاريخ النزاع المديد الشديد الذى قام بينها وبين ذلك الرجل الذى ظل أحقاباً متعاقبة يقهرها ويحتجزها كغرضٍ من أغراض العاطفة الرخيصة . على أن ذلك النزاع لم يلبث أن استحال إلى حرب نظامية تطورت وصارت خطة سياسية أو وسيلة نسوية ، أخذت الآن تتضاءل وتتقلص حتى لتكاد تختفى فى أعلى طبقات السيدات تهذيباً وأرقاهن علماً وثقافة ..

أجل ، هى صورة ظاهرة من صور الحب التى مرجعها الذات والرغبة فى إثباتها بشكل أكمل وأوضح ، وتحديد مكانها فى حيز الوجود . بل هى مظهر راق لحب الذات مصدره إعجاب المرأة بالقوة ، ذلك الإعجاب الذى ينسبه سبنسر فيها إلى نمو شعورها الدينى ، وحنينها إلى اللياذ بقوة أعظم من قوتها ، فهى حين تظهر سيطرتها على الرجل ، إذ تطالبه باستعراض مجازفات إقدامه وصلابة مكسره وصرامة بأسه أمام الملأ ، إنما تريد أن تتبذخ بقوته ، لأنها كما تقول الكاتبة الإنجليزية جورج أليوت : « لا تستطيع أن تتعلق بالرجل الخوار الهشيم » . ثم إنها حين تستفز فيه روح المنافسة والغيرة ، ولو عن طريق الخطار بحياته ، تعمد إلى امتحان حبه ، وتتطلع إلى مبلغ تهافته على الاستئثار بإعجابها ، وإرضاء نزعات تدللها وتيهها ، بطرائق تسير ذكرها فى الآفاق ، وتفشى تدلهه بحبها على الألسنة ، وترجّع صدى هيامه بها فى المحافل ، وتذهب سمعه فى الناس ، ولا تتوانى فى سبيل سعيها لامتلاك قلبه عن

إثارة زهوه بتقريظ شهامته وتملق رجولتـه وإطراء نخوته ، فلا يتوانى هو بدوره عن حمل نفسه على المخاوف والمعاطب واقتحام المهلكات والمتالف

ولكى نقرب من إنصاف المرأة مع ذلك ، أصرح بأن ما يبدو منها من حب السيطرة ، لا يمكن أن يؤخذ على معناه المطلق ، لأنه لا يتجاوز ميلها الفطرى إلى التسلط على قلب الرجل ، ونيل الحظوة فى عينيه . ولئن رغبت فى أن تكون محبوبة منه بكل قواه ، فإنما رغبتها الأولى أن تكون هى المحبة . وأكبر اعتقادى أن ما تبذله من قبيل استمالته إليها ، ليس إلاّ نتيجة لتلك الرغبة الملحة ، وعلى كل حال فرغبتها ورغبته مترابطتان ، والغالب أن يكون الحب متبادلاً بينهما . ولقد قدمتُ أن المرأة الراقية المهذبة ، قد تمكنت بفضل العلم الناضج من معالجة «مركب النقص» الذى أذكته فيها سيادة الرجل فى مثل البيئات والأحوال الخاصة التى سردتها حضرة الآنسة الفاضلة « زينب الحكيم » فى قصصها ، وأصبحت الفتاة اليوم تتوخى فى عهد خطبتها وسائل متزنة للسيطرة على قلب خطيبها وشريك حياتها، فأبت أن تتبع ما كانت تتبعه أختها فى العهد الماضى من ضروب إحاطته برعاية الأم الحانية على طفلها الرضيع بنواهيها العديدة ، لأنها قد تحققت أن فى اليوم ، يكره القيود التى تغلّ الإرادة وتشلّ القوى ، ويرفض الانصياع لمن تمحضه النصح على الولاء ، بارتداء الملابس الصوفية إذا ما لاحت بوادر الشتاء ، واستصحاب زوج إضافى من الجوارب السميكة إذا خرج لمباراة فى لعبة الجولف ليتقى بها الأمطار فى حالة هطولها ، وأن يتمشى بفالوذج اللبن والبيض ، وأن يعنى بتهوية مسكن العزوبة المجدب من أناقة المرأة وعنايتها ؛ لأن الحياة الرياضية ، التى يحياها فتى اليوم ، فى فرق الكشافة والجوالة والتدريبات العسكرية ، قد جعلته واسع الحيلة فى شؤون المعيشة ، شديد الاعتماد على نفسه ، كبير القدرة على العناية بصحته وبمسكنه ، وأصبحت فتاة اليوم تتجنب إظهار امتلاكها له أمام الناس ، والتحدث بحقوق الاختصاص التى وضعتها عليه كما لو كان بعض الدواجن التى تدللها وتستصحبها معها فى المنتديات العامة مباهية بسيطرتها عليه . وأصبحت تتجنب الاعتداد بنفسها ، والاستعلاء عليه وإبداء البرودة نحوه والإكثار من معاتبته والتفلسف فى تحليل كل صغيرة وكبيرة من تصرفاته ومحاسبته على كلماته والإغراق فى أخذه بمغالبات جدلية ومناقشات منطقية، وإملاله بسرد النظريات العلمية والتخيلات الروائية ، وإذاعة المعلومات وآخر النشرات الإخبارية الشائعة بين أفراد طبقتها ، والظهور أمامه بمظهر الحزن والاكتئاب والتجهم ويقظة الضمير والإفراط فى ادعاء الورع والتدين ، وتحوير الأمور وتحريفها وقلب ظاهرها لباطنه ؛ وأخذت تبدو أمامه على الدوام متبللة الغرة ، قريبة منال البشر ، طيبة النفس فكهة الأخلاق، فى احتشام الفتاة ، وخفر العذراء، وكرامة السيدة وجلالها وصراحتها وثقتها ومحبتها ووفائها وطاعتها . .

ولعله يحسن بى أخيراً أن أنتحى ناحية الرجل فأقول إنه يستطيع تحقيق المثل الأعلى للفتاة كزوج حين تجتمع فيه أنبل ميزات الرجولة وأكرم أخلاقها وأمجد مناقبها ، فتجد فيه القوّام المخلص العطوف المطاوع ، والشريك الحازم الرشيد الأمين الكريم الذى يتفانى فى توفير أسباب الراحة والطمأنينة لها ، ويتعاون معها على إسعاد العمران ، والسمو بالمجتمع الإنسانى إلى مراقى الكمال المنشود .

الزهرة

فرصة عظيمة للسادة الأشراف ومحبى أهل البيت

تخفيض ثمن كتاب بحر الأنساب من مئتين الى خمسين قرشاً صاغاً

« كتاب بحر الأنساب العالى من زمن الرسول إلى وقتنا هذا تأليف الامام النجفى وشرح السيد محمد مرتضى الزبيدى والعالم السيد حسين محمد الرفاعى الذى اشتمل على أسماء وتواريخ وأصول ومناقب عموم الأشراف فى جميع القطر المصرى وبلاد المغرب ومراكش وتونس والجزائر وطرابلس ومكة والمدينة والبلاد العربية والهند واليمن والشام والعراق والعجم والحبشة والسودان وتركيا والشركس والأندلس وجميع بقاع الأرض فما من شريف على وجه الأرض إلا وأسماء أجداده مدونة ومثبوتة فى هذا البحر

كان يباع بمصر ولكن إكراما لموسم الحج من يرسل خمسين قرشا صاغا أو ثمانين فرنكا فرنسيا بطريق البوستة أو نقودا باسم وعنوان فضيلة السيد حسين محمد الرفاعى بدار الكتب المصرية بمصر القاهرة يرسل إليه نسخة من كتاب بحر الأنساب ثلاثة أجزاء في مجلد واحد خالصة أجرة البريد وكل تحويل بالمبلغ المذكور بغير اسم فضيلته لايلتفت إليه فالبدار البدار قبل نفاد النسخ الباقية منه وقبل ضياع هذه الفرصة الثمينة — مع العلم بأن هذا الكتاب الثمين تكلم أيضا عن أصول العرب وقبائلهم من لدن آدم ومبدأ خلق الدنيا »